عرض ونقد لرواية « أيام معه »

عاشقة ثائرة !

بقلم فاضل السباعي

اما العاشقة ... فهي « ريم » الفتاة ، الشرقية ، العربية ، من قلب دمشق !

واما الثورة ... فعلى المجتمع ، تقاليده وقيوده ، وعلى الحب نفسه !

واما صانع هذين، العشق والثورة كليهما ، فالاديبة السورية الشابة «كوليت سهيل » في قصتها الاولى المطولة « ايام معه » ، التي قيل فيها : « انها ثورة ... في عالم الادب » !

ان هذه القصة المطولة ، تمثل الابداع الفني للاديبة كوليت التي عرفناها ، قبل اليوم ، تتسلى بنظم الاشعار باللغة الفرنسية ، فاذا هي تطلع على جمهرة القراء فجاة بهذا الكتاب ، فتذهل كتاب القصة ، وتنال اعجابهم الشديد مهما حاول بعضهم ان يكتموه خلف الضلوع ولا يبوحوا به!

على ان الدوي الذي احدثته هذه القصة في عالم الصحافة ، كان ذا حدين متناقضين : ما بين اعجاب معجب ، وبين سخط ساخط ، ولو ان الاعجاب هو الغالب . ولقد فاق هذا الدوي كل حد ، وغلا غلوا عجيبا، حتى لقد نسجوا حول الكاتبة هالة من الهالات ، وخلعوا عليها من الصفات والسمات ما باتت تنكره هي على نفسها قبل سواها .. وما ذاك ، الا لان القلم الذي ابدع « ايام معه » ، انما امسكت به انامل انثى ... ولطالما قصر الادب النسوي عن ادب الرجال في بلادنا الشأو البعيد ، فكان التهليل هو الصدى المنتظر لكل عمل ابداعي تدفعه الى الجمهور سيدة .. واحبب به من تشجيع تستحقه المرأة ، الى ان تحاذي الرجل ، فيكون اذاك بينهما تزاحم واستباق ، ويكون التهليل لها بقدر وحسبان .. ولعل ذلك اليوم ليس بالبعيد .

ولقد اعجبني الفن في هذه القصة التي تخطها انامل لم تكتب القصة قبل اليوم ، مثلما اعجبني ، في بطلتها ريم ، التحرر والتمرد والجرأة والاندفاع والجموح .. ثم ضيقها بالرواسب تعلق بالاذهان ، وبالشوائب تكبل التفكير والقول والتصرف !

احست ريم بالرغائب الانسانية تنتفض في صدرها ، فما سكتت عنها، ولا حاولت وأدها ، ولكنها سعت الى تحقيق مآلها ، فلقيت في دربها الصدمات ، فما زعزعتها الصدمات ، وظلت ماضية قدما : فذاقت الحب، ونعمت به، وشقيت به، واترعت كاسها منه عذوبة وطلاوة، ثم شجنا وانينا، الى ان صارت الى نهايتها ، حيث كيفت على اساسها رغائبها الاولى ، فاستراحت عند ذاك مطامحها وامانيها .. وتلك خاتمة المطاف .

والمؤلفة كوليت سهيل ، في تصويرها المراحل العاطفية والنفسية لعاشقة الثائرة ، لم تقتسر المشاعر اقتسارا .. ان المشاعر الثائرة ، التي تغص بها القصة في كل فصل من فصولها ، بل في كل صفحة من صفحاتها ، انما هي من قبيل ما يعتلج قلب كل فتاة تأسرها عاطفة الحب ، فتصادفها الصعاب الكبيرة ، فاذا هي تثور على القيود ، وتكفر بالمثل الصنمية الجامدة ، وتجمح، الى ان يتبدى لها وجه الحقيقة ، فترتد الى الواقع ، وقد انهكها النضال والثورة والشموس .. وما فعلت كوليت ، ان عبرت عن هذه الاحاسيس بجرأة وصراحة ووضوح ، وهو عين ما يتطلبه « الصدق الروائي » ، فكان ان انطلقت اجنحتها الصغيرة ترود اجواء الفن الصادق الثائر ، فنظرنا اليها في مودة واعجاب، وانها لثورة حقيقة بالاعجاب مهما قيل في جموح هذه الثورة وتطرفها وايغالها .

احبت « ريم » الفتاة الشاعرة ، «زياد» الشاب الوسيقي ، وهو على غير دينها . فلامها المجتمع ، ممثلا في اقارب لها وصديقات ، فما لانت ، وكفرت بالنصح يسدى لها في سبيل اخلاصها للعاطفة المتفقة في سويداء قلبها .

وكانت تربطها بالفتى « الفريد » آصرة خطبة ، فتحللت منها او كادت لماذا ترتبط بمن لا تحب ولا تميل اليه ، وبمن تراه انانيا محبا لذاته ؟ انها صادقة مع نفسها وقلبها . تحب زياد ، لا الفريد . فترتبط بمن تحب برابطة الحب وحدها .. ثم تترقب ان يحين ذلك اليوم الذي يشدها فيه اليه رباط الزوجية السعيدة .

✶

ابتدأت القصة لترسم لنا شخصية ريم ، فتاة رومنتيكية تحن الى المجهول :

« كانت اقسى ساعات ايامي ساعات الليل .. فادخل غرفتي الموحشة، وارتمي على سريري ، واغمض عيني رغبة في النوم والنسيان ، فيرغب النوم عن عيني ، واهب من فراشي ، واقضي ساعات اذرع بيتي جيئة وذهابا ... ثم تحملني قدماي الى الشرفة ، فانظر الى السماء ، ويأوب خيالي بين النجوم ، وابحث .. وابحث ، علني اجد .. بين النجوم .. انسانا .. علني اجد صديقا . وكم من مرة ابتسمت حزينة للقمر ، وناجيته ، لانه يسهر كل ليلة وحيدا .. مثلي انا ... »

وتجد ريم هذا الصديق .

كان في الاربعين من العمر ، وهي بنت عشرين ، وكان طويلا ممتلىء

الجسد ،وكان موسيقيا لامعا ، قد جاب الامصار ، وعاش في بعض العواصم الاوروبية سنين ، فاكتسب خبرة وتجربة ، وعاشر من النساء الاصناف التي يعاشرها الغريب في بلد تفص بالنساء شوارعه ومنتدياته!

ووقعت ريم في شباكه ، مع فارق السن ، والدين ، والتجربة ، ورهافة الحس .

كان موسيقيا مخلصا لفنه وحده ، لا يرى في الحب الا لذة مادية عابرة لا تستحق الاخلاص ، فالاخلاص للفن .... وهو يريد لها ان تخص، الاخرى ، لفنها ، لشعرها .

« ــ انت خلقت كيما تكونين فنانة ، لماذا لا تكتبين ؟ هل نضب نبع الهامك ؟ استفيدي منمواهبك ، اكتبي ... استثمري حروفك ... ضحي من اجل فنك ، واجعلي من الفن حياتك لا من الحب ! الحب ! الحب عاطفة سخيفة ، وزائلة ...

« ــ انت لا تحبني !

« ــ لاتفهمي كلامي خطأ ، ارجوك ! انا احبك حبا عميقا ، عميقا جدا ، ولكن هذا الحبالذي تتحدثين عنه ، انا لا اومن به اصلا ... ! يا ريم ، الفن وحده يخلدوكلنا الى زوال ، الفن يبقى بعدنا ، لكن الفن يحتاج الى تضحية ، انا احب فني .... حاولي ان تفهميني ، انا مطارد صور وصياد انغام ... الفن بحاجة الى مواد اولية ، وانت لا تقدرين ذلك ، ان حبك الجنوني يحد من حريتي كفنان .. انا احبك ، ولا اريد فتاة غيرك .. مطلقا .. انا معك دائما .. ولكن ارجوك افهمي فني .. »

كذلك يقابل زياد المجرب ، حب هذه الفتاة العاشقة التي تريد ان تهبه قلبها . لكم كرهنا زياد في فلسفته ... لكم اشفقنا على ريم الفتاة الغريرة !

وعندما مالت اليه ميلها الشديد وولعت به ، ارادت ان تكاشفه في زواج :

« ــ زياد ... الا تشعر بالوحدة ؟

« ــ الوحدة ؟ الوحدة خصبة يا ريم ... خصبة جدا .. انا لاأعيش وحيدا ... انا اعيش مع فني والحاني ... ثم انا احب الحرية ، والحرية توجد في الوحدة ... انا لا استطيع ان ارتبط بقيود ... ان ذلك يحد من آفاق فني .. لا ... انا احب الوحدة ...

« فهمت ان زياد يستبعد فكرة الزواج ، وانه لم يشعر بعد بصقيع الوحدة » .. « كنت ساقول انني في حاجة الى شخص حبيب يبقى الى جانبي ، ويدلني على طريقي... ويدفعني فيه ... ! شخص يبدد ضياعي وخوفي ، ويعطي معنى لوجودي ، فاجد في ظله الامان ، ثم اكتب .. واكتب .. واكتب .. »

احببنا ريم في حنينها الى المجهول ، وخوفها من الوحدة .. وازداد كرهنا لزياد ، الذي ينفر من اسار الحب الجميل .

بل انها لتطلب منه طفلا ، عندما تنبثق في حناياها عاطفة الامومة ، الى جوار الخوف من الوحدة، وهل انبل من الامومة تبدد وحدة المرأة ؟

« ــ الى اي درجة تحبينني ؟

« رفعت نحوه عينين ادمعهما الوجد ، وقلت بصوت ترقرقت فيه الانوثة :

« ــ احبك .... احبك الى درجة انني اضحي باي شيء .. اي شيء عندي من اجلك ..

« ثم تمتمت : « ــ واريد .. اريد ان اعطيك ... طفلا ... »

هذه العاطفة خلقت لتعبر عنها المرأة .. هل من رجل يعبر في قصة عن عاطفة الامومة بهذا الايجاز والصدق والعفوية والسمو ؟

تعرفت ريم بزياد عند بائع الورد ، وكان تعارفا جميلا صنعته لنا الكاتبة . وجاء اللوم ينقض ظهر ريم : اتركيه ، يا ريم ، ابتعدي عنه ، الفارق بينكما كبير!

ورافقته الى السينما غير آبهة . وارتياد الفتاة الاماكن العامة ، بصحبة شاب لا تربطها به قرابة ، يقارب ان يكون في عرف المجتمع جريمة . .

وجعلت ريم تفكر :

« كم من فتاة تذهب وحيدة الى السينما ، وعندما تطفأ الانوار ، ياتي صديقها ، ويجلس الى جانبها ، وتتحاشى البقاء معه حتى نهاية العرض فيخرج قبل ان تضيء القاعة الانوار ؟ .. وكم من فتاة تذهب الى شقة شاب اعزب ، متسترة باجنحة الظلام ، وتخرج من عنده على رؤوس اصابعها ، وتعود الى بيتها لتخبر امها انها كانت ... « عند الجارة » ستار الخبث ! لماذا تسدله الفتاة على افعالها في بلدي ؟ طبعا لانها لا تحترم التقاليد !! هل اكون انا كلاخريات ؟.»

وماجت الثورة في اعماقها .

« ما اغبى الاهل الذين يجبرون فتياتهم على اقتراف مثل هذه الافعال ! وما اقبح المجتمع الذي لا يحب الصراحة ! المجتمع الذي يؤثر الدعارة في الخفاء على الابتسامة الطاهرة علنا .»

أرايت الى هذه الثورة ؟!

ورافقت ريم زياد الى السينما :

« مد ذراعيه بصورة طبيعية ، واحاط كتفي وظهري ليحميني اولا من الجموع المحتشدة ، ثم من ظلام المر . ووددت لو يبقى دائما هكذا ، كبيرا .. جديا .. قويا .. يشعر بضعفي فيحميني .. تمنيت لو تظل هذه الذراع تحيط كتفي ، وترفع عنهما مسؤولية الحياة . »

يا لهذه المشاعر من انثوية دافئة ، الادب جدير بان تبوح اليه بها انثى جريئة صادقة .

وجاءت اليها جدتها تعاتبها مستطارة اللب :

« ــ ريم .. اصحيح انك كنت في السينما ، منذ يومين ، مع شاب ؟

« اجبتها بصورة طبيعية:

« ــ نعم .. لماذا ؟

« ــ ريم ماذا دهاك ؟ هل جننت ؟

« ــ على العكس يا « تيتا » ... لقد ابتدأت اعقل .. » !!

بعد "قصة تجاربي مع الحقيقة" لغاندي

دار العلم للملايين

تقدم كتاباً عالمياً آخر لا ينسى

عند قدمي غاندي

للدكتور

راجندرا برازاد

رئيس جمهورية الهند

تعريب منير البعلبكي

وتبلغ ثورة هذه العاشقة ذروتها العالية ، عندما تناقش مفهوم «الشرف» الذي يستمسك به المجتمع الشرقي :

« هل انا شريفة ؟ انا التي احدث الرجال ، واحب صداقة الرجال ؟ هل يعتبرني الناس شريفة ؟ انا التي ارافق شابا الى السينما ، واستقبله في بيتي ؟ ... » ، « يقولون عندنا عن امرأة تثير الضغائن ، وتحوك الفتن ، وينخر قلبها الحسد ، ولا تترك فرصة تمر دون ان تسيء فيها الى الاخرين ، انها شريفة ، لانها لا تخاطب الرجال ! وينعتون بقلة الاخلاق ، فتاة طاهرة طيبة ، لا تريد للاخرين سوى الخير ، لانها احبت رجلا ووهبته نفسها ! هذا هو المنطق في بلدي ... » ، « انا اؤمن بالاخلاق الصحيحة بالافعال التي يرضى عنها الضمير الصحيح لا العادات ... » ، « اليس لي شعور يتدفق مثل شعور زياد ؟ بل اكثر ؟ اليس لي جسد تنهشه الشهوة مثل زياد ؟ » ، « انا لم اشعر بالحرمان قبل اليوم ، لانني لا استطيع بل لااريد ان أهب جسدي دون ان أفني قلبي ... ولكنني اليوم اتالم .. انا احب ..! هل الحب محرم ؟ وهل يعلم المجتمع ان كلمة شرف كلها تذوب في حروف الحب ؟ شرف .. شرف .. كل واحد هنا ينادي بالشرف ، ولكن هل هناك واحد يفهم معنى الشرف الحقيقي ؟ وفجاة ، تجسمت امام ناظري قصيدة للشاعرة نازك الملائكة : الاخ الذي يقتل اخته « غسلا للعار » ، ثم يذهب الى الحانة ليشرب بين احضان « الغانية الكسلى » نخبالشرف المستعاد ! نعم ! الشرف كلمة نتغنى بها ، لا عن عقيدة بل عن انانية ، وغرور ، وسخف ! » !!

فتاة شرقية ، من قلب دمشق ... تناقش هذه القضية بصراحة متناهية . وهي ، في مناقشتها قد تخطىء الرأي ، وقد تصيب كبد الحقيقة ... ولكن المعجب في هذا ، هو جرأتها ـ وهي الانثى الثابة ـ وابتدارها لهذا الموضوع الخطير .

وانها لتصف ـ بدقة وجراة ـ احاسيس شابة بين يدي حبيبها الاول :

« واحنيت راسي على كتفه ، فتسللت اصابعه تنقذ الخصلات السود من الدبابيس القاسية ، وتعيد الحرية لشلال الشعر العاتم .. وارتفعت همساته الحنونة :

« ـ ريم .. صغيرتي .. يا حبيبتي ..

« رفعت نحوه ثغري .. فخيمت انفاسي على دفء كلماته .. وامتزج شوقه بصلاة عيوني ..

« برفق ... احتوى العشرين عاما بين ذراعيه القويتين ، فاختلطت في ناظريه الشهوة بالحنين .. وتماوج في ناظري الهوى والليل ..

« وعلت ، شيئا فشيئا ، همهمة الحب ، بقصر المدى بين شفاهنا ... وتلاشى ، شيئا فشيئا ، خلف عيوننا المغمضة ... ضوء الفانوس الاصفر الصغير ... » .

فتحت ريم قلبها للحب ، واشعلته نورا ونارا .

وما يشتعل ويضيء ، يحترق ويفنى .

فهل احترق قلبها واصابه الفناء ؟

الحق ، ان قلب ريم قد ماجت فيه ـ في فترة ـ ثوره حب لاهبة صخابة ، وتطلعت الى ان تربطها برجلها وشيجة الزواج يشدها اليه حتى اخر العمر . وهنا عطفنا عليها كل العطف ، فقد استطاعت ان تقنعنا بصواب مسلكها بعد ان برزته لنا خير تبرير ، حتى انجذبنا اليها نرجو معها ان يكلل الزواج حبها الوهاج .

ولكن زياد ، كان يفضل دائما فنه على حبه . والحب عنده مادة ضرورية لتغذية مشاعره الفنية ، وما ريم ، وسواها ، غير « مواد » ، انهن فتيات ماضيات، يعبرن به او يعبر بهن ، وريم احداهن . صارحها بذلك ، فقطع نياط قلبها المشتعل .

وعلمت ان فتاة تركية ، على دينه ، قد اقبلت الى دمشق ، فاولاها عناية خاصة . ان«سوزان » مادة اولية جديدة ، تثري فنه الاثير .

وانطلقت الاشاعات : زياد سيتزوج سوزان ..

افصحت لها احدى صويحباتها ان زياد وسوزان « اذا تبادلا الاعجاب، فلا عائق يقف فيطريق زواجهما ... انسيت ان الدين يقرب ما بينهما ؟».

فانطلقت من ريم صرخة ، قدسية ، زهراء ، فيها العاطفة الطاغية الصادقة ، وفيها المنطق المفحم الذي لا يدع قارئا في غير اقتناع :

« هل يعتقد الناس ان هذه الفتاة التركية اقرب الى زياد مني ؟؟ انا التي رضعت معه ينابيع بلدة واحدة .. انا التي تحرقت معه بشمس سماء واحدة .. انا التي شاركت معه ارضنا الشوق الى امطار سماء واحدة ... انا التي احنو معه على احجار بلدة واحدة ... انا التي اتغنى معه بتاريخ بلدة واحدة .. وانا .. انا التي افني حياتي ، معه، لازدهار مستقبل بلدة واحدة ... هل هي اقرب اليه مني ، وهي التركية التي تزور ، لاول مرة ، بلادي ؟ .. » .

يا للجنية ،من مبدعة رائعة الاحساس !

كذلك تمضي القصة بقارئها تغذيه بشحنات من الاحساسات الرهيفة والثورة الجهيرة !

وزياد يأبى الزواج . لانه مكرس حياته لفنه . وهي اعتصرت قلبها في ايامها معه ، حتى ذوى الحب في ارجاء هذا القلب النابض ، وشاع اليأس واصفرار الخريف وانتفاضة الموت .. وان تصوير هذا الجو ، في القسم الاخير من القصة ، ليوحي اليك باليأس والحزن والاسى جميعا ، حتى لتكاد تذرف الدمع من اجل ريم ، وتكاد شفتاك تنبسان بالكلمة المزرية توجهها لزياد شفاء لغلك الذي يستعر في قلبك .

ولكن الكاتبة ، لم ترد ان تغلق علينا القصة ونحن نحس هذا الاحساس القاسي نحو زياد ، فجعلته يعود اليها طالبا الغفران ، ولكنها ، وهي التي يئست من حبها لخطيبها ومن حبها لحبيبها ، اصبحت اكثر ايمانا بالفن كشاعرة :

« ـ احبك يا ريم ... هل تتزوجينني ؟ »

« ـ يازياد ... الفن والزواج لا يجتمعان ..

« ـ ارجوك .. لا تحاربيني باراني ..

« ـ لكنها اصبحت آرائي .. اني مؤمنة بها .. كيف نضحي بفنك وتتزوجني ؟

« ـ اذا طلب مني ان اختار بينك وبين فني فلن اتردد لحظة .. انا لا اريد شيئا غيرك في هذه الحياة ..

« ـ هل جننت يا زياد ؟ انت تحب فنك .. ويجب ان نعيش من اجل فنك ...ان فنك هو الشيء الوحيد الذي يستحق التضحية . نعم كنت اريد الزواج .. كنت ارحب بالزواج عندما كنت ضعيفة .. تائهة .. لكنك انت يا زياد حملتني الى الواقع ... علمتني ان احب فني ... ان اعتني بفني ... ان اعيش للشعر ... وانا الان مؤمنة بان الزواج والفن لا يجتمعان .. »

وانتهى الامر بريم الى ان تهب نفسها للفن .

ان الفراغ الذي كانت تشكو منه ويخافه في الماضي ، بدا لها اليوم،

ـ التتمة على الصفحة ٩٨ ـ

العاشقة الثائرة

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٨٠ ـ

بديعا ذا معان جميلة :

« ساملأ كأسي برحيق الفن ، فالفن نبع فياض ، دفق وجود لا ينضب ... مهما غرفنا منه،يظل يغرقنا بالجمال ... ومهما نهلنا منه ، يظل يسكرنا بالامال والحب .. ساهب حياتي للحرف : ساجعل منه الهي ، ورفيقي ، وعبدي .. فآمره ساجدة ... واعبده ، سيدة . واشكو اليه همومي كانسان حبيب .. »

*

الى هذا المصير انتهت عاشقتنا ريم .

ثارت على المجتمع ، الذي اراد ان يحول بينها وبين ممارستها عاطفتها الانسانية على الوجه الذي ترغب ... ثم ثارت على الحب نفسه ، لانه كما بدا لها اسار يقيدجناحي فنها الطليق .

وانت ، في هذا كله ، مندفع مع ريم العاشقة الثائرة ، متجاوب منساق، تؤمن بآرائها ، لا يداخلك فيها شك .

وان ما يحملك على هذا الانسياق والتجاوب ، صدق التجربة التي تقدمها اليك الكاتبة ، فهي من حيث الصدق كاملة غاية الكمال . وان الصدق ليتجلى في هذه « الجزئيات » الصغيرة المتدافعة المتزاحمة في تضاعيف القصة ، فكل ما يمكن ان يقع بين الحبيبين من تمنع ، ومطاوعة ، ووجد ، وجفوة ، وفرح وارق، وافتراق .. كل ذلك مدروز ، احدها اثر الاخر ، في تتابع الفصول .. فتأخذك هذه الواقعية ،وتاسرك الرومنتيكية ، فاذا انت ملتذ بالقصة لا تريد ان تقطع قراءتها لقضاء ايسر الامور .

وفي رايي ، ان ما أثرى القصة بهذه الجزئيات الشيقة ، معين ثر خصيب ، هو سجل مذكرات اعتمدت على الكاتبة ، فامدها بالفيض الذي لا ينضب ... وان لديها من هذا المعين نصيبا اخر وافرا ، حقيقا به ان ينثر في قصة من الطول ذاته ، او لعله قصتان .

على ان اعتمادالكاتبةعلىالحوادث تترى ، وعلى الحوار ، صرفها عن التحليل تسبر به اغوار شخوصها ، فاذا هي متفرغة لذكر الحوادث كبيرها وصغيرها ، ولتسجيل كل عبارة تجري على لسان احدهم ، دون النفاذ الى ما وراء هذا اللسان من نفس موارة بالعاطفة والاحاسيس المتضاربة ، عدا احاسيس البطلة الرئيسية ريم ، باعتبار القصة تروى بلسان حالها .

ومن هذا المأخذ الجانبي ، ننتقل الى مأخذ اخر كبير . شخوص القصة كثر . يربو عددهم على العشرة .. فهل وفتهم الكاتبة حقهم ، من حيث العناية بهم ، واعطاؤهم الدور الفني اللازم لكل منهم ؟

كانت ريم الشخصية الرئيسية الاكلة حقوق غيرها من الشخوص . وما في ذلك من بأس ، فهي الراوية . ومن احق بالمتكلم ـ اذا اتيح له الكلام ـ بالحديث عن نفسه وعن احاسيسه وخلجاته !

اما زياد ، فقد بدا شخصا ثانويا ، ولكنه لاقى العناية المتوجبة على كل حال . واما الفريد ، فقد طرح جانبا ، ولو ان سماته بدت واضحة وصادقة في اواخرالقصة، وقد كان ينبغي ان يشغل حيزا اكبر .

بيد ان العناية بالشخوص الاخرى ، قاربت حد الاهمال المعيب . ولئن غفرنا قلة العناية « بالست سناء » مثلاو «عصام» و«المربية» و«الخادمة دنا» وليس لنا ان نغفر ، الا ان شخوصا ثلاثة في القصة جاءت على درجة طيبة منحيثالتخطيط وبروز الملامح ، ومع ذلك لم يلاقوا العناية الكافية ، وهم «الجدة» و«العم » ، واخص منهم «ناديا» زوجة خال ريم ، انها في الحق ذات شخصية واضحة متسقة وذكية ، لذلك كان يمكن اعطاؤها دورا اظهر في القصة ، وقد اعجبني منها موقفان : وهي تحض ريم على العمل في الوظيفة بمنطقها الرصين (الصفحة ٢٦) لتتحررمن سيطرة الرجل ، ثم وهي تفسف لها حرمان زياد ، هذا الشرقي ، الذي وان عاش في اوربا سنوات الا ان الحرمان في دمه موروث عن الاسلاف (الصفحة ٢٧١) ... ان ناديا شخصية موفقة ، واضحة الملامح ، تختلف عن سائر الشخوص الثانوية اختلافا جوهريا .

وتصوير الاجواء في القصة كان جيدا ، فانت تحس بانك تحيا في الجو الموصوف كما لو كنت فيه في الواقع . وذلك غاية الابداع . ولم يتخل التوفيق عن الكاتبة ، الا في رسمها جو الوظيفة ،فكان فاترا لا يشعرك بان ريم موظفة تعمل حقا ... ولعل صدق احساس الكاتبة بهذا الفتور ، حملها على ان تسحب بطلتها ، في منتصف القصة ، من الوظيفة ، فقد اصبح توظفها او عدمه سيان في مجرى القصة .

اما اللغة ، فسليمة ، مشرقة ، شاعرية ، تستغرقها الصور الماتعة .

وقد كان الظن في الكاتبة انها شاعرة باللغة الفرنسية وحسب ، وان العربية لا تطاوعها في بيان افكارها ، فاذا هي تكتب بلغة اجدادها خيرا مما يكتب معظم قصاصي لاقليم ، فتنتزع الاعجاب، بل تبعث الحيرةوالذهول

اما الحوار ، فقلما قرات مثله في قصص كتاب اقليمنا . فهو فني عذب ، سائغ ، عفوي ، ينساب انسيابا ولا يدفع دفعا .

ولقد اعلنت الكاتبة، مضيا مع احترامها للغتها وزهوا في اقتدارها على التعبير بها ، انها تتحدى ان يكتشف لها احد في الكتاب اخطاء لغوية . واني ،مع تسليمي بسلامة اللغة في القصة ومع تواضع حصيلتي اللغوية ، اقبل التحدي ، فاذكرها ببعض الهفوات ، من ذلك : « وادي معاصي » (ص ١٥١) ، «سنينه الماضية» (٢٠٤) ، « بعضهم البعض» (٢٢٠) ،... هذه الهفوات التي لا اعتقد الا انها من صنيع عامل المطبعة سامحه الله وغفر له !

بقي ان اشير الى وجه للشبه ما بين «ايام معه»» وبين « انا احيا » للكاتبة اللبنانية ليلى بعلبكي . الموضوع يكاد يكون واحدا ، الفتاة التي تبحث عن نفسها ، عن وجودها ، ثائرة ، منكرة الاوضاع والتقاليد الى ان تلقى الذي تحب ، فتذيب حبها شمعة تبكي بين يديه ، ثم ينتهي بها الحب الىذلك المصير . انه قصة الفتاة الحائرة الثائرة العاشقة ، فلا غرابة ان تشابه الموضوعان ، وانما العبرة في المعالجة الفنية ، ولقد فاقت كوليت زميلتها ليلى ، بما ملكت من قياد الفن والاصالة والحوار الشيق.

وبعد ...

ان قصصا مطولات ثلاثا ، لروائيين سوريين ثلاثة ، قد صدرن خلال العام ١٩٥٩ : « باسمة بين الدموع » لعبد السلام العجيلي ، و«خمر الشباب » لصباح محي الدين ، و «ايام معه » لكوليت سهيل ..

هل اقول : كوليت ابرعهم ؟

اكاد اعلن ذلك ، لولا ان تشدني الي العجيلي، صاحب «باسمة».. ، اواصر من الاعجاب المتين وقد قرأته لسنوات ، فامسك من اعلاني ، انتظارا لاثر جديد تدفعه الى القراء كاتبتنا الشابة ، يكون اكثر نموا من الوجهة الفنية ، واوضح هدفا ، واقرب الى مشكلاتنا الحيوية ، واكثر ذيوعا وخلودا .

درعا (الاقليم السوري) **فاضل السباعي**